العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٦

أشعة من خطبة المتقين

أم علي القبانچي

أشعة من خطبة المتقين

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ المؤلف: أم علي القبانچي

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي خلق الموت والحياة اختباراً وابتلاء، والحمد لله الكبير المتعال، والحكيم الذي صيقل ألواح أرواح العباد التي هي مظهر الغرائب، بالمواعظ الشافية، والحكم الزاهرة، وجعلها مرآة لصفات جماله وكماله، والحمد لله الذي أجرى ينابيع الحقائق على بساتين قلوبهم الصافية، وحدائق صدورهم الزاكية، بواسطة أنبيائه وأصفيائه، حيث أينعت في قلوبهم ثمار المحبة، وغرست فيها رياحين المودة والمعرفة.

والصلاة والسلام على زبدة عالم الوجود، وصاحب المقام المحمود، ومتمم صحيفة مكارم الأخلاق، الموسوم من خزانة الفيض الأزلي بقوله: ﴿**إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1] أعني سيد المرسلين، وفخر العالمين، وشفيع المذنبين، ورحمة الله على الأولين والآخرين محمّد خاتم النبيين.

---

(١) القلم: ٤.

ثم الصلاة والسلام على أهل بيته الأطهار الأخيار، سيّما سيد الأوصياء، وإمام الأتقياء، وشفيع يوم الجزاء، باب مدينة العلم، ومحط سفينة الحلم، أعني ولي الله الأعظم أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام.

أما بعد، لما ابتلى الله الحكيم العليم نفوس البشر بالغفلة والشهوات طبقاً لحكمته الكاملة، ومصلحته الشاملة، لابدّ للحيارى في وادي الغفلة، والسكارى من شراب البغي والضلالة، من المواعظ الحسنة، والنصائح الشافية الجميلة، لعلّهم يفيقوا من نوم الغفلة، وسكر الضلالة، فلذا شحن الحكيم على الإطلاق كلامه المعجز بالنصائح الشافية، والأمثال والحكم، وأمر قادة الدين والهادين لمسالك اليقين اقتفاء هذا الأسلوب، حيث قال: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]. فوردت وصايا وحكم كثيرة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ومن تلك الحكم والمواعظ خطبة المتقين التي تجمع لنا صفات الإنسان المتقي، وما عليه في ليله ونهاره وملبسه ومسكنه، ومنطقه وصمته.

ونحن هنا ـ وفي ضمن «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» ـ نحاول تسليط الضوء على هذه الخطبة الشريفة في أربعين شعاع، مع توضيح مختصر لألفاظ الخطبة بالاستعانة من شرح ابن أبي الحديد وابن ميثم وحبيب الله

---

(١) النمل: ١٢٥.

الخوئي، مع ذكر بعض الروايات الداعمة للنص، كي ينتفع بها الجميع مع اعترافي بالقصور عن اداء حق هذه الخطبة، نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء بهم، والتحلّي بصفاتهم، إنّه سميع الدعاء.

« خطبة المتقين »

روي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّامٌ كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين كأنّي أنظر إليهم. فتثاقل عن جوابه، ثمّ قال عليه السلام: **يا همّامُ، اتقِ اللهَ وأحْسِنْ فَـ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**. فلم يقنع همّامٌ بِذَلِكَ القول حتّى عزم عليه. قال: فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ[1]، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ[2]. وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِم لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ

---

(١) ملبسهم الإقتصاد: أي ليس بالثمين جدّاً ولا بالحقير جدّاً.

(٢) نزلت أنفسهم منهم في ... : أي انّهم موطّنون أنفسهم على ما قدّره الله في حقهم من الشدّة والرخاء والسراء والضراء والضيق والسعة.

فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ.

قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُم.

أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ[1] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ[2]، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ[3] وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ[4]، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ،

---

(١) يستثيرون: يهيّجون ويطلبون.

(٢) حانون على أوساطهم: حنيت العود عطفته، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة.

(٣) مفترشون لجباههم: باسطون لها على الأرض.

(٤) براهم: من البري وهو النحت، والقداح: السهام.

وَيَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!

لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ.

إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسي! اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً[1] فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ[2]، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ[3]. يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ.

إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لايَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً[4] أَكْلُهُ، سَهْلاً

---

(١) قصداً: أي اقتصاداً.

(٢) تجمّلاً في فاقة: أي التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر.

(٣) تحرّجاً عن طمع: أي تباعداً عن طمع.

(٤) منزوراً: أي قليلاً.

أَمْرُهُ، حَرِيزاً[1] دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْـخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَـانَ فِي الـذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ.

بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَـيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ[2]، وَفِي الْـمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَـكُورٌ. لا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْـحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلا يَنْـسَى مَـا ذُكِّـرَ، وَلا يُنَـابِزُ بِالأَلْقَـابِ، وَلا يُضَارُّ بِالْـجَارِ، وَلا يَشْمَتُ بِالْـمَصَائِبِ، وَلا يَـدْخُلُ فِي الْبَاطِـلِ، ولاَ يَخْـرُجُ مِنَ الْـحَقِّ.

إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْـهِ صَبَرَ حَتّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَـاءٍ، وَالنَّـاسُ مِنْـهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نفسه لآِخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَـدَ عَنْـهُ زُهْدٌ وَنَزاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِـبْرٍ وَعَظَمَـةٍ، وَلا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قال: فصعق همّامٌ رحمه الله صعقةً كانت نفسُه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَـالَ: هكَـذَا تَـصْنَعُ الْـمَوَاعِظُ البَالِغَـةُ بِأَهْلِهَا؟ فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقـال عليه السلام: وَيْحَـكَ ، إِنَّ

---

(١) حريزاً: حصيناً ومحروزاً.

(٢) أي لا يضطرب في الشدائد المرعدة.

لِكُلِّ أَجَـلٍ وَقْتـاً لا يَعْـدُوهُ ، وَسَبَباً لا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لا تَعُدْ لِـمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!

***

سند الخطبة:

روى هذه الخطبة بألفاظ متقاربة كل من سليم بـن قـيس الهـلالي في كتابه:٣٧١، والشيخ الكليني في الكافي٢: ٢٢٦ح١ عن محمّـد بـن جعفـر، عن محمد بن إسماعيل، عن عبدالله بن داهر، عن الحسن بن يحيى، عن قـثم ابن أبي قتادة الحراني، عن عبدالله بن يونس، عن أبي عبـدالله عليه السلام . ورواهـا أيضاً محمّد بن همام الإسكافي في كتاب التمحيص: ٧١ ح١٧٠.

كـما انّ الـشيخ الـصدوق رحمه الله رواهـا في الأمـالي: ٦٦٦ ح٢ وقـال: حدثني محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثني محمّد بـن الحـسن الصفار، قال: حدثنا علي بن حسان الواسطي، عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام . وكذلك رواها ابن شـعبة في تحف العقول:١٥٩.

وكذلك الكراجكي في كنز الفوائد: ٣١ وقال: أخـبرني أبـو الرجـاء محمّد بن علي بن طالب الرازي، قال: أخبرني أبو المفضل محمّد بـن عبـدالله ابن محمّد بن المطلب الشيباني، قال: حدّثني أبو عبدالله جعفر بن محمّد ابـن جعفر العلوي الحسني، قال: حدثنا أحمد بن محمّد بن عيسى الوابشي، قال: حدثنا عاصم بن حميد الخياط، قال أبو المفضل الشيباني: وحدثنا محمد ابـن

علي بن أحمد بن عامر البندار بالكوفة من أصل كتابه، وهذا الحديث بلفظه و هو أتم سياقه، قال: حدثنا الحسن بن علي بن بزيع، قال: حدثنا مالك ابن إبراهيم بن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن رجل من قومه يعني يحيى بن أم الطويل انّه أخبره عن نوف الكسائي.

من هو همام؟

قال ابن أبي الحديد في شرحه: «همام المذكور في هذه الخطبة: هو همام ابن شريح بن يزيد بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب ابن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مُرّان بن صيفي بن سعد العشيرة. وكان همام هذا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه، وكان ناسكاً عابداً»[1].

سبب الامتناع:

انّ أمير المؤمنين عليه السلام امتنع في البداية من الإسهاب في وصف المتقين، واكتفى بقوله: «يا همام اتق الله وأحسن فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

وقيل في سبب ذلك وجوه: منها ما قاله ابن أبي الحديد: «يجوز أن يكون تثاقل عن جوابه لأنّه علم انّ المصلحة في تأخير الجواب، ولعلّه كان حضر المجلس من لا يحب أن يجيب وهو حاضر فلما انصرف أجاب، ولعلّه

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٣٤.

رأى انّ تثاقله عن الجواب يشدّ تشوّق همام إلى سماعه، فيكون أنجع في موعظته، ولعلّه كان من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة لا من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولعلّه تثاقل عن الجواب ليرتب المعاني التي خطرت له في ألفاظ مناسبة لها، ثم ينطق بها كما يفعله المتروّي في الخطبة والقريض»[1].

ومنها ما قاله ابن ميثم: «وتثاقله عليه السلام عن جوابه لما رأى من استعداد نفسه لأثر الموعظة، وخوفه عليه أن يخرج به خوف الله إلى انزعاج نفسه وصعوقها... ولذلك قال عليه السلام حين صعق همام: أما والله لقد كنت أخافها عليه»[2] واستحسن حبيب الله الخوئي هذا الرأي[3].

ولكن بعدما أصرّ همام وأقسم على الإمام وألحّ في السؤال، بدأ عليه السلام بشرح صفات المتقين، وقدّم لذلك مقدمة تشتمل على حمد الله واستغنائه عن خلقه، فقال: «**أما بعد، فإنّ الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم**».

وقيل في سبب تقديم هذه المقدمة: انّه عليه السلام لما كان بصدد شرح حال المتقين تفصيلاً حسبما اقترحه همام، وكان ربما يسبق إلى الأوهام القاصرة انّ

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد:١٠/ ١٣٤.

(٢) شرح النهج لابن ميثم:٣/ ٣٨٤.

(٣) منهاج البراعة للخوئي:١٢/ ١٠٤.

ما يأتي به المتّقون من مزايا الأعمال والصالحات، وما كلّفهم الله سبحانه بـه من محامد الخصال والقربات، من أجل حاجة منه تعالى عن ذلك إليها، قدّم هذه المقدمة تنبيهاً على كونه سبحانه منزهاً عن ذلك، متعاليـاً عـن صـفات النقص والحاجة في الأزل كما في الأبد، وانّه لم يكن غرضه تعالى مـن الخلـق والإيجاد تكميل ذاته بجلب المنفعة ودفع المضرّة كما في سائر الصناع البشرية يعملون الصنائع لافتقارهم إليها واستكمالهم بها بـما في ذاتهـم مـن الـنقص والحاجة، وأما الله الحي القيوم فهو الغني الكامل المطلـق في ذاتـه وصـفاته وأفعاله، ولم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوّف مـن عواقـب زمـان، ولا استعانة على ندّ مثاور، ولا شريك مكاثر، ولا ضدّ منافر[1].

(١) أنظر: منهاج البراعة للخوئي:١٢/ ١٠٥، شرح ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٣٥.

الشعاع الأوّل
الصفات الظاهرية

«مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «منطقهم الصواب».

قال ابن ميثم: «الصواب في القول، وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان، وحاصله أن لا يسكت عمّا ينبغي أن يقال فيكون مفرطاً ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطاً، بل يضع كلاً من الكلام في موضعه اللائق به، وهو أخص من الصدق لجواز أن يصدق الإنسان فيما لا ينبغي من القول»[1].

وقد حث أميرالمؤمنين عليه السلام كراراً ومراراً على حفظ اللسان، وانّه

---

(١) شرح النهج لابن ميثم:٣/ ٣٨٥.

ملاك التقوى، فقد قال عليه السلام: «وليختزن الرجل لسانه، فانّ هذا اللسان جموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه، وانّ لسان المؤمن من وراء قلبه، وانّ قلب المنافق من وراء لسانه، لانّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه، وانّ المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم فليفعل»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «اللسان سبع إن خُلّي عقر»[2] وقال عليه السلام: «من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار»[3] وقال عليه السلام: «دع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلّف... ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك... وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة:١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم:٥٥.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم:٣٣٩.

(٤) المصدر نفسه، الكتاب: ٣١.

ولهذه الأمور والأسباب قدّم أمير المؤمنين عليه السلام هذه الصفة على باقي الصفات، لأهميتها ولكون إهمالها وعدم التحفظ منها يوجب الكثير من الذنوب والآفات.

وقد عدّ ابن أبي الحديد في شرحه آفات اللسان وقال:

منها الكلام فيما لا يعنيك ، وهو أهون آفات اللسان، قال النبي صلى الله عليه وآله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

ومنها الخوض في الباطل، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾ (١) ومنها المراء والجدال، قال عليه السلام: «دع المراء وإن كنت محقاً». ومنها الفحش والسب والبذاء، قال النبي صلى الله عليه وآله: «إياكم والفحش، فإنّ الله لا يحب الفحش ولا يرضى الفحش».

ومنها الوعد الكاذب، وقد أثنى الله سبحانه على إسماعيل فقال: ﴿**إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ**﴾ (٢).

ومنها الكذب، ومنها الغيبة(٣)... إلى غير ذلك من الآفات.

قوله عليه السلام: «وملبسهم الاقتصاد».

أي انّ المتقي في ملبسه مقتصد، فلا يلبس الثمين جداً ولا الحقير

---

(١) المدثر: ٤٥.

(٢) مريم:٥٤.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد:١٠/ ١٣٨.

جداً، مع مراعاة الظرف الذي يعيش فيه، والعرف السائد في زمانه، وحالة الناس من حيث الغنى والفقر، فإنّ هذه كلها عوامل تؤثّر في كيفية سلوك الإنسان الاجتماعي، حيث انّ الأعراف والعادات في المسكن والملبس والمركوب اعتبارات تتغيّر وتختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، والملاك هو أن يكون الإنسان مقتصداً في هذه الأمور بحسب عرفه وزمانه وموقعيته الاجتماعية.

فبينما نحن نرى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها»[1]. نرى مثلاً انّ الإمام الحسين عليه السلام لما استشهد كان لابساً جبة خز[2]، وكان الإمام السجاد عليه السلام يلبس الجبة الخز بخمسين ديناراً، والمطرف الخز بخمسين ديناراً[3]، وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام وليس ذلك إلّا لما قلنا من تغيير الملاكات بتغيّر الزمان والمكان.

قوله عليه السلام: «ومشيهم التواضع».

وهذا مأخوذ من قوله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**﴾[4] والمعنى انّ المتقين لا يمشون على وجه الأشر

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة:١٦٠.

(٢) الكافي للكليني:٦/ ٤٤٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) لقمان:١٩.

والبطر والخيلاء، لنهي الله سبحانه عن المشي على هذا الوجه في قوله: ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً**﴾[1].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي الناس بالتواضع ويقول: «واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوّكم إبليس وجنوده، فإنّ له من كل أمة جنوداً وأعواناً ورجلاً وفرساناً[2]».

وقال عليه السلام أيضاً: «إنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم، فإنّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له»[3].

قوله عليه السلام: «غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم».

وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ**﴾[4].

فالمتقي في سلوكه يغض بصره عن المحرمات، بل وحتى عن الملهيات التي تذكّره الدنيا، لأنّه يعلم انّ «القلب مصحف البصر»[5] فكما

---

(١) الإسراء: ٣٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة:١٩٢.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة:١٤٧.

(٤) النور: ٣٠.

(٥) نهج البلاغة، قصار الحكم:٣٩٩.

انّ القلم يؤثّر في الورق، كذلك النظر يؤثر في القلب ويكتب فيه ما رآه.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام: «كل عين باكية يوم القيامة إلّا ثلاثة أعين: عين غُضّت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله»[1].

قوله عليه السلام: «وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم».

أي انّهم لم يشغلوا سمعهم بشيء غير العلوم النافعة التي تنفعهم في إصلاح معاشهم أو معادهم، إذ أنّ العمر لا يفي لتعلّم العلوم كلها، ومن العلوم ما يكون ضاراً كالسحر والشعوذة وغيرها، إذن الطريق الأمثل للمتقي أن يقتصر على العلوم النافعة له أو للمجتمع بحسب جهده وقدرته.

قوله عليه السلام: «نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء».

أي أنّهم قد طابوا نفساً في البلاء والشدّة كطيب أنفسهم بأحوالهم في الرخاء والنعمة، وذلك لقلة مبالاتهم بشدائد الدنيا ومصائبها.

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن؟ فقال عليه السلام: «بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط»[2].

---

(١) الكافي للكليني:٢/ ٤٨٢ ح٤.

(٢) المصدر نفسه:٢/ ٦٠ ح١.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وما أنتم؟ فقالوا: نحن المؤمنون يا رسول الله، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لاتسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»[1].

(١) المحاسن للبرقي: ١/ ٢٢٦.

الشعاع الثاني
شوق اللقاء

قال عليه السلام: « وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِم لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ».

❁❁❁

وهذا إشارة إلى غاية نفرتهم عن الدنيا، وفرط رغبتهم إلى الآخرة، لما عرفوا من عظمة وعده ووعيده، يعني أنّهم بكلّيتهم متوجهون إلى العقبى، مشتاقون إلى الانتقال إليها شدة الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلّا الآجال المكتوبة وعدم بلوغها غايتها[1].

فالمتقون: «صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحل الأعلى»[2]. إذ انّ المحب إلى لقاء المحبوب مشتاق، ولذا عرّض الله تعالى باليهود لما زعموا أنّهم شعب الله المختار، وأنّهم أحباء الله تعالى، فقال: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا**

---

(١) شرح النهج للخوئي١٢: ١٠٧.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٧.

الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[1].

وقد ورد في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام في وصف المشتاقين: «المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ليناً، ولا يقرّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ويناجيه بلسان شوقه معبراً عمّا في سريرته... ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة إلّا خلاصه، وقد نسي كل شيء دونه»[2].

طبعاً انّ هذه الصفة ربما لا تكون في كثير منّا، وللوصول إليها لابدّ من اتباع ما يلي:

أولاً: الدعاء بأن يرزقنا الله تعالى شوق لقائه، فقد ورد في زيارة أمين الله: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك... مشتاقة إلى فرحة لقائك».

وكذلك ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة المريدين: «وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون» وفي مناجاة المحبين : «الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك ... وشوّقته إلى لقائك».

وفي مناجاة العارفين: «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار

---

(١) الجمعة:٦.

(٢) مصباح الشريعة:١٩٦.

الشوق إليك في حدائق صدورهم».

وثانياً: استذكار نعيم الجنّة والتفكر فيه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شوّقوا أنفسكم إلى نعيم الجنّة تحبوا الموت وتمقتوا الحياة»[1] ويقول عليه السلام أيضاً: «فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة، لزهقت نفسك شوقاً إليها، ولتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها»[2].

وثالثاً: التفكر في النعم الدنيوية التي هيأها الله تعالى للإنسان، وكذلك نعمة إرسال الرسل والأنبياء لتقويم الإنسان وهدايته، ممّا يدلّ على شفقته وحبه للإنسان، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل: بماذا أحببت لقاء الله؟

فقال: «لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه، علمت انّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني، فأحببت لقاءه»[3].

ثم انّ المتقي إلى جنب شوقه إلى الثواب، يكون خائفاً أيضاً من العقاب والوعيد الإلهي، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي

---

(١) غرر الحكم للآمدي:٥٧٧٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٥.

(٣) البحار: ٦/ ١٢٧.

لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلّا خائفاً، ولا يـصلحه إلّا الخوف»[1].

فالشوق والخوف بابان عظيمان من أبواب الجنّة يتصف بهما المتقي في حياته.

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٧١ ح١٢.

الشعاع الثالث

القلب حرم الله تعالى

قال عليه السلام: «عَظُمَ الْـخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ».

❁❁❁

وقريب منه قوله عليه السلام في قصار الحكم: «عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك».

وذلك لعلمهم بأنّه تعالى موصوف بالعظمة والكبرياء والجلال وغالب على الأشياء كلها، قادر قاهر عليها، وانّ كل ما سواه مقهور تحت قدرته، داخر ذليل في قيد عبوديته، فهو سبحانه عظيم السلطان، عظيم الشأن، وغيره أسير في ذلّ الإمكان، مفتقر إليه لا يقدر على شيء إلا بإذنه.

والمتقي أيضاً يعلم انّ قلبه حرم الله فلا يحل لغيره أن يحلّ فيه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «انّ روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من

---

(١) البحار:٦٧/ ٢٥.

اتصال شعاع الشمس بها»[1].

والخلاصة انّ المتقي يعتقد انّ: كل قوي غير الله سبحانه ضعيف.

وكل مالك غير الله سبحانه مملوك.

وكل غالب غير الله سبحانه مغلوب.

وكل قادر غير الله سبحانه مقدور.

(١) الكافي للكليني:٢/ ١٦٦ ح٤.

الشعاع الرابع
رفع الحجب

قال عليه السلام: «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ».

❁❁❁

هذا إشارة إلى انّ العارف وإن كان في الدنيا بجسده، فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّة وسعادتها، وأحوال النار وشقاوتها، كالذين شاهدوا الجنّة بعين حسّهم وتنعّموا فيها، وكالذين شاهدوا النار وعذّبوا فيها، وهي مرتبة عين اليقين، فبحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم إلى الجنّة، وشدّة خوفهم من النار[1].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «انّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) شرح النهج لابن ميثم:٣/ ٣٨٧.

كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال: انّ لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟

فقال: انّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني، وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النّار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأنّي أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان»[1].

أما نحن ففي غفلة عن هذا وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فأنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب**»[2].

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٥٣ ح٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠.

الشعاع الخامس

اللطف الإلهي

قال عليه السلام: «قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «قلوبهم محزونة».

وذلك انّ اللطف الإلهي شملهم فكانت قلوبهم محزونة من خوف الله والشوق إليه، وكيف لا يكونوا كذلك والدنيا سجن المؤمن، وهل يفرح السجين؟!

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وما أصبح فيها مؤمن إلّا وهو حزين، وكيف لا يحزن المؤمن وقد أوعده الله انّه وارد جهنّم، ولم يعده انّه صادر عنها»[1].

وقال: صلى الله عليه وآله أيضاً: «يا أبا ذر من استطاع أن يبكي قلبه فليبك، ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك، انّ القلب القاسي بعيد من الله ولكن

---

(١) الأمالي للطوسي:٥٢٩.

لاتشعرون»[1].

وعن سفيان الثوري أنّه دخل على الإمام الصادق عليه السلام فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ فقال عليه السلام: «والله إنّي لمحزون وانّي لمشتغل القلب، فقلت له: ما أحزنك وأشغل قلبك؟ فقال عليه السلام: يا ثوري انّه من دخل قلبه صافي خالص دين شغله عمّا سواه...»[2].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «عباد الله انّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعدّ القرى ليومه النازل به...» [3].

قوله عليه السلام: «وشرورهم مأمونة».

أي انّهم مأموني الشر، لأنّ مبدأ الشرور والمفاسد كلها ورأس كل خطيئة هو حب الدنيا، والمتقون بمعزل من ذلك.

وقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «المؤمن من تحمّل أذى الناس ولم يتأذ أحد منه»[4].

قوله عليه السلام: «وأجسادهم نحيفة».

وذلك لإتعاب أنفسهم بالصيام والقيام، وقناعتهم بالقدر

---

(١) الأمالي للطوسي:٥٢٩.

(٢) تحف العقول لابن شعبة: ٣٧٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة:٨٦.

(٤) عيون الحكم للواسطي: ٦٨.

الضروري من الطعام، والقيام بقضاء حوائج الإخوان، وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام قوماً من أولياء الله بقوله: «مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٠.

الشعاع السادس
الفطرة السليمة

قال عليه السلام: « وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ».

❁❁❁

قول عليه السلام: «وحاجاتهم خفيفة».

وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على ضرورياتها، وعدم طلبهم منها أكثر من البلاغ، وقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام أيضاً في وصفهم: «طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً وطيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما منزلة الدنيا من نفسي إلّا بمنزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها»[2].

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٠٤.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٤٦.

قوله عليه السلام: «**وأنفسهم عفيفة**».

أي مصونة عن المحرمات لكسرهم سورة القوة الشهوية، مع المواظبة على جهاد النفس والمراقبة لعلمهم انّ «هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وأنّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى»[1] وهو يستمع أيضاً إلى كلام أميرالمؤمنين حيث يقول: «وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال»[2] فلذا سلمت فطرتهم، وعفّت أنفسهم، وربحت تجارتهم.

(١) نهج البلاغة، الخطبة:١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب:٥٦.

الشعاع السابع

الصبر

قال عليه السلام: «صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُم».

❁❁❁

يشير عليه السلام هنا إلى عدة نقاط:

١ـ انّ أيام الدنيا ـ وإن طالت ـ قصيرة وسرعان ما تزول، وورد في الذكر الحكيم: ﴿**قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ* قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْأَلِ الْعادِّينَ**﴾[1].

وكتاب نهج البلاغة مشحون بالإشارة إلى سرعة انقضاء الدنيا وزوالها، وتذكير الإنسان بعدم الاغترار بها، فقد قال عليه السلام: «فإنّها [أي الدنيا] والله عمّا قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن... فلا يغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها»[2].

---

(١) المؤمنون: ١١٢ـ ١١٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٢.

وقال عليه السلام: «فانّما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالمسير»[1] وقال عليه السلام: «انّ أهل الدنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا»[2].

٢ــ انّ الإنسان في هذه الأيام القليلة يتعرض إلى أنواع البلايا والآفات والذنوب التي لابدّ وأن يصبر ويصمد أمامها، ويكف نفسه عن الشهوات وملاذ المعاصي، وكان فيما عهد عليه السلام إلى الأشتر: «وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات، ويزعها عند الجمحات فانّ النفس أمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي... وشُحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت وكرهت»[3].

وقال عليه السلام عن نفسه الشريفة: «وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق»[4].

٣ـ انّ نتيجة هذا الصبر هو الفوز بالجنّة، كما قال تعالى: ﴿**وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً**﴾[5].

٤ـ وأخيراً انّ التنبه عن الغفلة، والعون على النفس، والصبر على المكاره، كلها بفضل الله ورحمته كما ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي: «من أين لي

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٧.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٨٣.
(٣) المصدر نفسه ، الكتاب: ٥٣.
(٤) المصدر نفسه ، الكتاب: ٤٥.
(٥) الإنسان: ١٢.

الخير يا رب ولا يوجد إلّا من عندك، ومن أيـن لي النجـاة ولا تـستطاع إلّا بك».

ونقرأ في الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام: «وكلّـما وفقتنـي مـن خير فأنت دليلي عليه وطريقي إليه» وهذه هي التجارة المربحة التي يَـسّرها الله تعالى للمتقين.

الشعاع الثامن

الدنيا

قال عليه السلام: « أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا».

❁❁❁

انّ تعامل المتقي مع الدنيا تعامل الحذر اليقظ، لأنّه يعلم انّها سريعة الزوال، وأنّها «خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»[1]. وهي: «دار ممرّ إلى دار مقرّ»[2]وهو أيضاً يعلم: «انّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملاً»[3].

ومن جهة ثانية يعلم مساوئ الاغترار بالدنيا، ويعلم انّ «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها من قلبه، آثرها على الله، فانقطع إليها وصار عبداً لها»[4]، ويعلم انّها لا تفي لأحد كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥١.
(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٦.
(٣) المصدر نفسه ، الكتاب: ٥٥.
(٤) المصدر نفسه ، الخطبة: ١٦٠.

وصف أبناء الدنيا: «أنسوا بالدنيا فغرتهم، ووثقوا بها فصرعتهم»[1].

ومن جهة ثالثة يعلم انّ من أعرض عن الدنيا لتحصيل الآخرة جمع الله تعالى له الدنيا والآخرة، وهذه طبيعة الدنيا فـ«من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته»[2]، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه»[3]، وقال عليه السلام: «من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها»[4].

وقال عليه السلام في تقسيم الناس: «الناس في الدنيا عاملان: عامل عمل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجة فيمنعه»[5].

وكذلك يعلم انّ من ترك الآخرة لتحصيل الدنيا سيتضرر كثيراً، قال عليه السلام: «لا يترك النّاس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلّا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه»[6].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ، الخطبة: ٨١.
(٣) المصدر نفسه ، قصار الحكم: ٨٤.
(٤) المصدر نفسه ، قصار الحكم: ٤١٩.
(٥) المصدر نفسه ، قصار الحكم: ٢٦٠.
(٦) المصدر نفسه: قصار الحكم: ١٠١.

لذا نرى الدنيا تطلب المتقي وهـو لا يريـدها، بـل فـدى نفـسه مـن أسرها، وهذه أيضاً هي التجارة المربحة التي يسّرها لهم ربهم بعينها.

الشعاع التاسع
المتقي في الليل

قال عليه السلام: « أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ».

❁❁❁

يتصف المتقي بصفة التهجّد في الليل، إذ انّ فترة الليل من أحسن الساعات والأوقات للخلوة والتفكر والتأمل، لقطع الشواغل الدنيوية. ومساعدة ظلمة الليل على الهدوء والسكينة، لذا نرى انّ التهجد بالليل كان من أبرز الوصايا للسالكين، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) السجدة: ١٦ـ ١٧.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرائيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت انّ خيار أمتي لن يناموا من الليل إلّا قليلاً»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تدع قيام الليل فانّ المغبون من غبن قيام الليل»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انّ العبد إذا تخلّى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور في قلبه... ثم يقول جل جلاله لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي فقد تخلّى بي في جوف الليل المظلم والباطلون لاهون، والغافلون نيام، اشهدوا أنّي قد غفرت له»[3].

(١) كنز العمال ح: ٢١٤٢٥.
(٢) معاني الأخبار للصدوق: ٣٤٢ ح١.
(٣) أمالي الصدوق: ٢٣٠ ح٩.

الشعاع العاشر

تلاوة القرآن

قال عليه السلام: «تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ[1] بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ».

❁❁❁

يشير عليه السلام هنا إلى طريقة المتقين في تلاوة القرآن والتي لابدّ وأن يستنّ بها كل إنسان، وهي كالتالي:

١ـ المداومة على قراءة القرآن، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن»[2].

---

١ ـ يستثيرون: يهيّجون ويطلبون.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي:١/ ١٩٥ ح١٣٠٤.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «انّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامة الحسنات، ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا رب أنا القرآن، وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجد، فأرضه كما أرضاني. قال: فيقول العزيز الجبار: عبدي أبسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد، فإذا قرأ آية صعد درجة»[1].

٢ـ استشعار الحزن عند تلاوته، فقد قال الصادق عليه السلام: «انّ القرآن نزل بالحزن فاقرؤوه بالحزن»[2] وسيأتي في الفقرات التالية مصاديق لتحزين النفس عند التلاوة.

٣ـ انّ القرآن دواء للأمراض الخفية النفسية، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن: «فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال»[3] فالمتقي حزين في تلاوته، بصير بدائه ودوائه، وهو بعد حليف القرآن.

---

(١) الكافي للكليني:٢/ ٦٠٢ ح١٢.
(٢) المصدر نفسه:٢/ ٦١٤ ح٢.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة:١٧٦.

٤ـ وأخيراً يذكر أمير المؤمنين عليه السلام مصداقاً لكيفية تعامل المتقي مع القرآن، وطريقة تحزينه لنفسه وإعطائها العلاج اللازم من أمراضها، حيث يذكر عليه السلام أنّهم إذا مرّوا بآية فيها تشويق إلى الجنّة مالوا واشتاقوا إليها، وأشرفت نفوسهم إليها شوقاً، وأيقنوا أنّها معدّة لهم وبين أيديهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف وتحذير من النار، أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا انّ زفيرها وشهيقها في أصول آذانهم.

والخلاصة انّ المتقين يقرؤون القرآن بالترتيل والصوت الحسن الحزين، ويشتدّ رجاؤهم عند قراءة آيات الرجاء، وخوفهم عند تلاوة آيات الخوف، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مرّ بآية فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو، ويسأل العافية من النار ومن العذاب»[1].

(١) التهذيب للطوسي: ٢/ ٢٨٦ ح١١٤٧.

الشعاع الحادي عشر

الصلاة

قال عليه السلام: « **فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ**».

❁❁❁

قوله: «**فهم حانون على أوساطهم**» أي وصف لهيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة، أي انّهم يحنون ظهرهم في الركوع في استواء من رقبتهم ومن ظهرهم من غير تقويس.

وقوله: «**مفترشون لجباههم...**» إشارة إلى سجودهم وانّهم يبسطون وجوههم على الأرض خشوعاً وتذلّلاً، وفيه إشارة أيضاً إلى الأعضاء السبعة في حال السجود، وهي: الجبهة واليدان والركبتان والإبهامان. وقوله: «**يطلبون إلى الله...**» إشارة إلى العلّة الغائية لهم من عبادتهم الليلية، يعني انّهم يتضرّعون إليه سبحانه، ويلحّون في فكاك رقابهم من النار وإدخالهم الجنّة.

❁❁❁

الشعاع الثاني عشر
المتقي في النهار

قال عليه السلام: « وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ».

❁❁❁

بعد ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام صفة المتقين في الليل من التهجد وقراءة القرآن والركوع والسجود، يذكر لنا صفتهم في النهار، واتسامهم بالحلم والعلم والبر والتقوى في سلوكهم الفردي والاجتماعي.

أما الحلم ـ وهو الأناة والتثبت في الأمور ـ فيعين الإنسان في سلوكه ويمنعه من الانفعال وعدم التثبت، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الأمور الهائلة، وعدم طيشها في المؤاخذة، وعدم صدور حركات غير منتظمة، وعدم إظهار المزية على الغير، وعدم التهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعاً وعقلاً.

وقد ورد التأكيد عليه في الروايات، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «انّ الله يحب الحييّ الحليم العفيف المتعفّف»[1].

---

(١) الكافي للكليني ٢: ١١٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «انّ أفضل أخلاق الرجال الحلم»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «والحلم سراج الله يستضيء به صاحبه إلى جواده، ولا يكون حليماً إلّا المؤيّد بأنوار المعرفة والتوحيد، والحلم يدور على خمسة أوجه: يكون عزيزاً فيذلّ، أو يكون صادقاً فيتهم، أو يدعو إلى الحق فيستخف به، أو أن يؤذى بلا جرم، أو أن يطالب بالحق فيخالفوه به، فإذا أتيت كلاً منها حقه فقد أصبت»[2].

وأما العلم فهو أيضاً ممّا يتّصف به المتقي، إذ انّ العبادة من دون علم وبصيرة لا تنتج سوى الضلال والانحراف، كما حصل للخوارج، وكذلك العكس فالعلم من دون تقوى لا ينتج أيضاً إلّا الضلال والخسران، وهو مصداق قوله عليه السلام: «رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه»[3].

وكما ذكر عليه السلام فيما مضى فإنّ المتقين اقتصروا من العلوم على العلوم النافعة أولاً، وثانياً علمهم مقرون بالعمل إذ يعلمون «انّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم»[4]. ويعلمون أيضاً انّ «العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل»[5].

---

(١) غرر الحكم للآمدي: ح٦ ٣٣٨.
(٢) مصباح الشريعة: ١٥٤.
(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٠٧.
(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٠٩.
(٥) المصدر نفسه ، قصار الحكم: ٣٥٦.

فالمتقي بعلمه يهدي نفسه ويهدي الآخرين، ويتخذ في هدايته وإرشاده الطريقة الوسطى، فقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «الفقيه كل الفقيه من لم يقنّط النّاس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله»[1].

أما كونهم من الأبرار، فهو مصداق لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً**﴾[2]، وقال الطبرسي في مجمع البيان: «هو [أي الأبرار] جمع البر، المطيع لله المحسن في أفعاله، وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشرّ، وقيل: هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة»[3].

وأما كونهم أتقياء فواضح أي أنّهم خائفون من الله تعالى وتاركون جميع القبائح البدنية والنفسانية.

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٥.
(٢) الإنسان: ٥.
(٣) مجمع البيان للطبرسي: ١٠/ ٢١٤.

الشعاع الثالث عشر

الخوف

قال عليه السلام: « قَدْ بَرَاهُمُ الْـخَوْفُ بَـرْيَ الْقِـدَاحِ، يَنْظُـرُ إِلَـيْهِمُ النَّـاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِـالْقَوْمِ مِـنْ مَـرَضٍ، وَيَقُـولُ: قَـدْ خُولِطُـوا! وَلَقَـدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**قد براهم الخوف بري القداح**» أي نحتهم مثـل نحـت السهام، وصاروا مثلها في الدقة والنحافة، وخوفهم هذا إمّـا مـن الله تعـالى لمعرفة عظمته وجلاله، وإما من سوء العاقبة والاستدراج، وإما مـن النـار، وإما من فراق رضـوان الله تعـالى ومجـاورة أوليائـه، وإمـا مـن الوقـوع في الذنوب والآثام أو المكروهات وما شاكل.

فهذه وجوه عدّة لخوف المتقين أدّت إلى أن صاروا بـأعين النـاظرين كالمرضى أو كمـن خـولط، ويؤيـد أميرالمـؤمنين عليه السلام هـذا ويقـول: «**قـد خالطهم أمر عظيم**».

وورد في الحديث الشريف عن أبي جعفر عليه السلام في صفة شيعة علي عليه السلام

الكمّل: «انّما شيعة عليّ الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيّرة ألوانهم، مصفرّة وجوههم»[1].

وقال ابن أبي الحديد في شرح هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلم انّ الخوف مقام جليل من مقامات العارفين، وهو أحد الأركان التي هي أصول هذا الفنّ، وهو التقوى التي حثّ الله تعالى عليها، وقال: انّ أكرم الناس عنده أشدهم خوفاً له، وإذا نظرت القرآن العزيز وجدت أكثره ذكر المتقين وهم الخائفون.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوّفه الله من كل شيء.

وقيل للنبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾[2] هم الذين يعصون ويخافون المعصية؟ قال: لا بل الرجل يصوم ويتصدّق، ويخاف ألّا يقبل منه.

وقال صلى الله عليه وآله: ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله، أو قطرة دم أريقت في سبيل الله»[3].

وفي مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام: «الخوف رقيب القلب، والرجاء شفيع النفس، ومن كان بالله عارفاً كان من الله خائفاً وإليه

---

(١) الخصال للصدوق: ٤٤٤.

(٢) المؤمنون: ٦٠.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٤٦.

راجياً، وهما جناحا الإيمان، يطير العبد المحقق بهما إلى رضوان الله، وعينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله ووعيده، والخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده، والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب، والخوف يميت النفس، قال النبي صلى الله عليه وآله: المؤمن بين خوفين: خوف ما مضى، وخوف ما بقي، وبموت النفس يكون حياة القلب، وبحياة القلب البلوغ إلى الاستقامة، ومن عبدالله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل، ويصل إلى مأموله، وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما تختم صحيفته، ولا له عمل يتوسل به استحقاقاً، ولا قدرة له على شيء ولا مفر، وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز، وهو غريق في بحر آلاء الله ونعمائه من حيث لا تحصى ولا تعد، فالمحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة أحواله بعين سهر، والزاهد يعبد على الخوف»[1].

(١) انظر البحار: ٦٧/ ٣٩٠.

الشعاع الرابع عشر
التقصير

قال عليه السلام: « لا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ».

❁❁❁

أي انّ المتقي يرى نفسه دائماً مقصراً في جنب الله تعالى، غير قادر على أداء حقه، وهذا ما أوصى به أبو الحسن عليه السلام حيث قال: «أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين، ولا تخرجني من التقصير، قال [الراوي]: قلت:أما المعارون فقد عرفت انّ الرجل يعار الدين ثم يخرج منه، فما معنى لا تخرجني من التقصير؟ فقال: كل عمل تريد به الله عزّوجلّ فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإنّ الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلّا من عصمه عزّوجلّ»[1].

ولذا نرى المتقي لا يرضى من عمله بالقليل، للوصول إلى رضوان الله تعالى وقربه من جهة، وللإحساس بالتقصير وعدم أداء ما عليه ثانياً،

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٧٣ ح٤.

ولعلمه بانّ الهدف من الخلقة إنّما هي العبادة والمعرفة ثالثاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

أما قوله عليه السلام انّهم لا يستكثرون الكثير من أعمالهم، لمعرفتهم بأنّ ما أتوا به من العبادات، وإن بلغت في كثرتها غاية الغايات، زهيدة قليلة في جنب نعم الله وآلائه، فقد قال عليه السلام أيضاً: «فليس أحد ـ وإن اشتد على رضى الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له»[2].

وقال عليه السلام: «فو الله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم بهديل الحمام، وجأرتم جؤار المتبتّلي الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصتها كتبه وحفظها رسله، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه»[3].

مضافاً إلى انّ استكثار العمل من العجب الموجب لإحباط العمل والوقوع في الخزي العظيم، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام انّه قال: «ثلاث قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه»[4].

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٥٢.

(٤) الخصال للصدوق: ١١١ ح٨٥.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انّ موسى بن عمران قال لإبليس: «أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه»[1].

ويؤيد هذا أيضاً كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين»[2].

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٣١٤.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

الشعاع الخامس عشر

اتهام النفس

قال عليه السلام: « فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ».

❁❁❁

قال ابن ميثم في شرح هذا المقطع: «فتهمتهم لأنفسهم وخوفهم من أعمالهم، يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم، وكونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصل إلى الله تعالى، فإنّ هذا الوهم يكون مبدءاً للعجب بالعبادة والتقاصر عن الازدياد من العمل. والتشكك في ذلك وتهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمارة، يستلزم خوفها أن تكون تلك الأعمال قاصرة عن الوجه المطلوب، وغير واقعة عليه، فيكون باعثاً على العمل وكاسراً للعجب، وقد عرفت انّ العجب من المهلكات كما قال عليه السلام: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[1].

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٠.

وقوله عليه السلام: «**ومن أعمالهم مشفقون**»، أي مشفقون من عباداتهم ألّا تقبل، وإلى هذا نظر أبو تمام فقال:

يتجنّب الآثام ثم يخافها ... فكـأنّما حسناتـه آثـــام

***

الشعاع السادس عشر

الفرار من العجب

قال عليه السلام: «إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَعْلَمُونَ».

❁❁❁

انّ المتقي لاتهامه نفسه، وشفقته من أعماله الناقصة، إذا زُكيّ ومدح بما فيه من محامد وأوصاف جميلة وعبادات مختلفة، وخيرات ومبرات خاف من ذلك وقال: أنا أعلم بعيوب نفسي من غيري، وانّما يخاف من التزكية لأنّ الرضا بها مظنّة الإعجاب بالنفس والإدلال بالعمل المذموم والمحبط للأجر كما مرّ.

وقد ورد في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام: «والعجب نبات حبها الكفر، وأرضها النفاق، وماؤها البغي، وأغصانها الجهل، وورقها الضلالة، وثمرها اللعنة والخلود في النار، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر، وزرع النفاق، ولابدّ له أن يثمر»[1].

---

(١) البحار: ٦٩/ ٣٢٠.

والطريق الثاني لكبح جماح النفس عند الزهو والإعجاب، تذكّر عظمة الله تعالى وقدرته عليه، فقد كتب عليه السلام في عهده للأشتر: «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يُطامن إليك من طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك»[1].

والطريق الثالث لكفّ النفس ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: «يا هشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس لؤلؤة، ما كان ينفعك وأنت تعلم أنّها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس أنّها جوزة ما ضرك وأنت تعلم أنّها لؤلؤة»[2].

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

(٢) تحف العقول لابن شعبة: ٣٨٦.

الشعاع السابع عشر
القوة واللين

قال عليه السلام: « **فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ**».

❁❁❁

قال ابن ميثم في شرحه: «ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي بجملتها يعرف أحدهم، والصفات السابقة وإن كان كثيراً منها مما يخصّ أحدهم ويعرف به، إلّا انّ بعضها قد يدخله الرياء فلا يدخل على التقوى الحقة، فجمعها ها هنا ونسقها.

فالأولى: القوة في الدين، وذلك أن يقاوم في دينه الوسواس الخناس، ولا يدخل فيه خداع الناس، وهذا إنّما يكون في دين العالم.

الثانية: الحزم في الأمور الدنيوية والتثبّت فيها ممزوجاً باللين للخلق وعدم الفظاظة عليهم، كما في المثل: «لا تكن حلواً فتسترط ولا مرّاً فتلفظ» وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق، وقد علمت انّ اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله: ﴿**وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾

وقد يكون عن مهانة وضعف يقين، والأوّل هو المطلوب وهو المقارن للحزم في الدين ومصالح النفس، والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب»[1].

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٠.

الشعاع الثامن عشر

اليقين

قال عليه السلام: «وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ».

❁❁❁

انّ اليقين من أفضل مراتب الإنسان، وهو غاية العبادة كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1].

وفي مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده انّ عيسى بن مريم كان يمشي على الماء، فقال: لو زاد يقينه لمشى في الهواء. يدلّ بهذا انّ الأنبياء مع جلالة محلّهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير، ولا نهاية بزيادة اليقين على الأبد، والمؤمنون أيضاً متفاوتون في قوة اليقين وضعفه، فمن قوي منهم يقينه، فعلامته التبري من الحول والقوة إلّا بالله، والاستقامة على

---

(١) الحجر: ٩٩.

أمر الله وعبادته ظاهراً وباطناً، قد استوت عنده حالة العدم والوجود، والزيادة والنقصان، والمدح والذم، والعزّ والذلّ، لأنّه يرى كلها من عين واحدة، ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، وسعى في أمور الدنيا وجمعها وإمساكها»[1].

وقيل: انّ اليقين على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علم اليقين، وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق.

الدرجة الثانية: عين اليقين، وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان، وخرق شهود حجاب العلم.

والدرجة الثالثة: حق اليقين، وهو إسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في حق اليقين.

(١) انظر البحار: ٦٧/ ١٧٩.

الشعاع التاسع عشر

العلم

قال عليه السلام: « وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ».

❁❁❁

انّ المتقي حريص في طلب العلم النافع له ـ كما مرّ ـ وذلك لما ورد في فضل طلب العلم والحثّ عليه، وفي حديث قدسي شريف انّ الله تعالى قال لعيسى عليه السلام: «عظّم العلماء واعرف فضلهم، فإنّي فضّلتهم على جميع خلقي إلّا النبيين والمرسلين، كفضل الشمس على الكواكب، وكفضل الآخرة على الدنيا، وكفضلي على كل شيء»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلّا ناداه ربه عزّوجل: جلست إلى

---

(١) منية المريد للشهيد الثاني: ١٢١.

حبيبي، وعزّتي وجلالي لأسكننّك الجنّة معه ولا أبالي»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم مصباح العقل»[2].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن العلم فقال: «أربع كلمات: أن تعبد الله بقدر حاجتك إليه، وأن تعصيه بقدر صبرك على النار، وأن تعمل لدنياك بقدر عمرك فيها، وأن تعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها»[3].

وللعلم ثمرات وآثار نشير إلى أهمها:

١ـ البصيرة والمعرفة، قال تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾[4]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثمرة العلم معرفة الله»[5].

٢ـ الخشية، قال تعالى: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ**﴾[6]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سبب الخشية العلم»[7]، وفي دعاء كميل: «**وَعَلَى ضَمائِرَ حَوَتْ مِنَ العِلْمِ بِكَ حَتّى صارَتْ خاشِعَةً**».

٣ـ العمل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ

---

(١) الأمالي للصدوق: ٩١ ح٤.
(٢) غرر الحكم للآمدي: ح١٥٨٣.
(٣) تنبيه الخواطر: ٣٧.
(٤) سبأ: ٦.
(٥) غرر الحكم للآمدي: ح٤٥٨٦.
(٦) فاطر: ٢٨.
(٧) غرر الحكم للآمدي: ح٤٥٨٦.

يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ»[1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه»[2].

٤ـ محاسن الأخلاق، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا طالب العلم انّ العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، واذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرّه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»[3].

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٤٧.
(٢) الكافي للكليني: ١/ ٤٤، ح٢.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٤٨، ح٢.

الشعاع العشرون

الحلم

قال عليه السلام: « وَعِلْماً فِي حِلْمٍ ».

❁❁❁

أي انّ علمهم ممزوج بالحلم، قال ابن ميثم: «مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية»[1].

وقد سبق في وصف المتقين أنّهم علماء حلماء، وقلنا هناك انّ الحلم هو الأناة والتثبت في الأمور وعدم العجلة فيها، فالمتقي يعقل علمه بزمام الحلم ويتصف به. وقد ورد عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال: «إذا وقع بين رجلين منازعة، نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت وقلت، وأنت أهل لما قلت ستجزى بما قلت، ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت سيغفر الله لك إن أتممت ذلك، قال: فإن ردّه الحليم عليه ارتفع الملكان»[2].

❁❁❁

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩١.

(٢) الكافي للكليني: ٢/ ١١٢.

الشعاع الواحد والعشرون
الاقتصاد والخشوع

قال عليه السلام: « وَقَصْداً فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**وقصداً في غنى**» قال ابن ميثم: «القصد في الغنى، وهو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة»[1].

وقال الخوئي: «يحتمل أن يكون المراد اقتصاده في طلب المال وتحصيل الثروة، يعني انّه لا يجاوز الحد في كسب المال وتحصيل الغنى، بحيث يؤدي إلى فوات بعض ما عليه من الفرائض كما هو المشاهد في أبناء الدنيا، وأن يكون المراد انّه مع غناه مقتصد في حركاته وسكناته ومصارف ماله بل جميع أفعاله، يعني انّ غناه لم يوجب طغيانه وخروجه عن القصد،

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩١.

وتجاوزه عن الحد»[1].

قوله عليه السلام: «**وخشوعاً في عبادة**» قال ابن ميثم: «الخشوع في العبادة، وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظمته الذي هو روح العبادة»[2].

وروي انّ النبي صلى الله عليه وآله رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: «أما انّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه». قال الطبرسي عقيب هذا الحديث: «وفي هذا دلالة على انّ الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح، فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها، والاعراض عمّا سواها، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود، وأما بالجوارح فهو غض البصر، والإقبال عليها وترك الالتفات والعبث»[3].

قوله: «**وتجملاً في فاقة**» أي انّ المتقي يتعفّف، ويظهر الغنى في حال فقره، ويترك السؤال ويستر ما هو عليه من الفقر، وأصل التجمّل هو تكلّف الجميل. وقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً**﴾[4].

ورواه ابن ميثم بالحاء بمعنى تحمّل الفاقة وقال: «وذلك بترك

---

(١) منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٢٥.
(٢) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩١.
(٣) مجمع البيان للطبرسي: ٧/ ١٧٦.
(٤) البقرة: ٢٧٣.

الشكوى إلى الخلق والطلب منهم، وإظهار الغنى عنهم، وذلك ينشأ عن القناعة والرضا بالقضاء وعلوّ الهمة، ويعين على ذلك ملاحظة الوعد والأجل وما أعدّ للمتقين»[1].

قوله عليه السلام: «**وصبراً في شدة**» أي يتحمّل شدائد الدنيا ومكارهها ويستحقرها بجنب ما يتصوّره من الفرحة بلقاء الله وبما بُشّر به من عظيم الأجر للصابرين، مضافاً إلى ما فيه من التأسي والاتباع للسلف الصالح من الأنبياء والمرسلين وأولياء الدين.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «من كنوز الجنّة البر، وإخفاء العمل، والصبر على الرزايا، وكتمان المصائب»[2].

وقال عليه السلام: «حسن الصبر عون على كل أمر»[3].

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩١.
(٢) تحف العقول لابن شعبة: ٢٠٠..
(٣) عيون الحكم للواسطي: ٢٢٨.

الشعاع الثاني والعشرون
طلب الحلال وترك الطمع

قال عليه السلام: «وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**وطلباً في حلال**» أي يطلب الرزق من الحلال، ويقتصر عليه ولا يطلبه من الحرام، وهذا إنّما ينشأ من العفة التي أصبحت ملكته، وهذه الصفة تعين المتقي على باقي الصفات، إذ انّ أكل الحرام يميت القلب، ولذا كان يوصي أميرالمؤمنين عليه السلام بذلك دائماً ويقول: «لا تدخلوا بطونكم لعق الحرام»[1]، وقال في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «وبئس الطعام الحرام»[2].

وفي حديث قدسي: «العمل مع أكل الحرام كناقل الماء في المنخل»[3].

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «يا أبا ذر انّ الدنيا مشغلة للقلوب

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥١.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٣) عدة الداعي لابن فهد: ٢٨.

والأبدان، وانّ الله تبارك وتعالى سائلنا عمّا نعمنا في حلاله، فكيف بما نعمنا في حرامه»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «من أكل الحلال أربعين يوماً، نور الله قلبه»[2].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً في حجة الوداع: «ألا انّ الروح الأمين نفث في روعي انّه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يخفنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإنّ الله تبارك وتعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسّمها حراماً، فمن اتقى وصبر آتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب الستر وعجّل فأخذه من غير حلّه، قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة»[3].

قوله عليه السلام: «**ونشاطاً في هدى**» أي خفة واسراعاً فيه، بأن يكون سلوكه لسبيل الله، وإتيانه بالعبادات المشروعة الموصلة إلى رضوان الله سبحانه بطيب النفس وعلى وجه الخفة والسهولة لا عن الكسل والتغافل، وذلك ينشأ عن قوة اليقين والاعتقاد فيما وعد المتقون، وتصوّر شرف الغاية.

قوله عليه السلام: «**وتحرّجاً عن طمع**» أي تجنباً عنه أي لا يطمع فيما في أيدي الناس لعلمه بأنّه من الرذائل النفسانية، ومنشأ المفاسد العظيمة، لأنّه

---

(١) البحار: ٧٤/ ٨١.

(٢) عدة الداعي لابن فهد: ١٤٠.

(٣) الكافي للكليني: ٥/ ٨٠.

يورث الذل، والاستخفاف، والحقد، والحسد، والعداوة، والغيبة، وظهور الفضائح، والمداهنة لأهل المعاصي، والنفاق، والرياء، وسدّ باب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وترك التوكل على الله والتضرّع إليه، وعدم الرضا بقسمه إلى غير ذلك مما لا يحصى[1].

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء، وردّ أمره إلى الله عزّوجلّ في جميع أموره، استجاب الله عزّوجلّ له في كل شيء»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «انّه سئل عن الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: الورع، والذي يخرجه منه؟ قال: الطمع»[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه»[4].

(١) انظر منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٢٨.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ١٤٨.
(٣) انظر منهاج البراعة: ٢/ ٣٢٠.
(٤) م ن: ١٢/ ١٢٨.

الشعاع الثالث والعشرون

الحذر

قال عليه السلام: «**يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ**».

❁❁❁

وذلك للخوف من ردّها وعدم قبولها لعدم اقترانها بالشرائط المقتضية للقبول، أو بأن تكون على غير الوجه اللائق، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾[1].

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام انّه كان في التلبية وهو على راحلته، فخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال: خشيت أن يقول لي ربي: لا لبيك ولا سعديك.

وقد مضى أيضاً شرح لهذه الحالة في قوله عليه السلام: «ومن أعمالهم مشفقون».

❁❁❁

---

(١) المؤمنون: ٦٠.

الشعاع الرابع والعشرون
الشكر والذكر

قال عليه السلام: «يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ».

❁❁❁

انّ المتقي في سلوكه الفردي شاكر وذاكر، وقد وردت روايات كثيرة، في فضلهما:

فمما ورد في الشكر ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام: «انّ لله في كل نعمة حقاً من الشكر، فمن أدّاه زاده منها، ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «النعم موصولة بالشكر، والشكر موصول بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الشاكر»[2] وهذا مفاد قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

وفي مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام: «وأدنى الشكر رؤية

---

(١) عيون الحكم للواسطي: ١٥٥.
(٢) م ن: ٦٤.

النعمة من الله من غير علة يتعلّق القلب بها دون الله، والرضا بما أعطاه، وأن لا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته، وكن لله عبداً شاكراً على كل حال، تجد الله رباً كريماً على كل حال، ولو كان عند الله عبادة تعبد بها عباده المخلصين أفضل من الشكر على كل حال، لأطلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها، فلما لم يكن أفضل منها خصّها من بين العبادات وخصّ أربابها فقال: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (١).

وتمام الشكر اعتراف لسان السرّ خاضعاً لله تعالى بالعجز عن بلوغ أدنى شكره، لأنّ التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها، وهي أعظم قدراً وأعزّ وجوداً من النعمة التي من أجلها وفقت له، فيلزمك على كل شكر شكر أعظم منه إلى ما لا نهاية له...» (٢).

أما الذكر فقد ورد الحثّ عليه في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ **يا أَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ**﴾ (٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يرتع في رياض الجنّة فليكثر

---

(١) سبأ: ١٣.

(٢) انظر البحار: ٦٨/ ٥٢.

(٣) الأحزاب: ٤١.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) آل عمران: ١٩١.

من ذكر الله»[1].

وفي الحديث القدسي: «إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرّب منّي شبراً تقرّبت منه ذراعاً، وإذا تقرّب منّي ذراعاً تقرّبت منه باعاً، وإذا مشى إليّ هرولت إليه»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى إلّا حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»[3].

وهو علامة لحب الله تعالى عبدَه، قال عليه السلام: «إذا رأيت الله سبحانه يؤنسك بذكره فقد أحبّك»[4] كما انّه يوجب الفرح والسرور للذاكر، قال عليه السلام: «ذكر الله مسرّة كل متّقٍ ولذّة كلّ موقنٍ»[5].

ولأهل الذكر علامات، قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: «وانّ للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، فكأنّما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنّما اطلعوا غيوب أهل

---

(١) كنز العمال للمتقي: ١/ ٤٣٨.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٠/ ١٥٤.
(٤) غرر الحكم للآمدي: ح٣٦١١.
(٥) المصدر نفسه: ح٣٦٥٣.

البرزخ في طول الإقامة فيه، وحقّقت القيامة عليهم عداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى كأنّهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون»[1].

وقال عليه السلام في صفات أولياء الله تعالى: «إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بانّ أزمّة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك»[2] وهذا على عكس المغترّ بالدنيا حيث انّه «يتعلّل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه»[3].

أما لماذا خصّص الشكر بالمساء والذكر بالصباح، فذهب الخوئي إلى انّ ذلك بسبب استحباب الذكر في الصباح والأمر به في مجموعة من الروايات، وانّ الله تعالى خلق الصباح للمعاش وطلب الرزق، وللذكر عند الصباح مدخل عظيم في الرزق، فإذا كان طلب الرزق واستنزال النعمة بالذكر في أول النهار، ناسب أن يكون الشكر على النعم النازلة في النهار في آخره[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢٠.

(٤) منهاج البراعة للخوئي: ١٠/ ١٢٨.

الشعاع الخامس والعشرون
الحذر والفرح

قال عليه السلام: «يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ».

❁❁❁

انّ المتقي يبيت حذراً إذ يخشى أولاً من الذنوب التي ربما ارتكبها بالنّهار ولا يدري هل غفرها الله تعالى أم لا، وثانياً يخشى أن يدركه الأجل ولا يصبح، فتفوته الخيرات والمبرات والاستغفار وتدارك ما فات، ولما يصبح فإنّه يصبح فرحاً بما أنعم الله عليه من الحياة الجديدة ويقول: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور» فهو فرح لفسح المجال له في الازدياد من الخيرات واستدراك ما فات.

وإليه أشار عليه السلام بقوله: «حذراً لما حُذر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة».

وذهب الخوئي إلى انّ الظّاهر عدم القصد إلى تخصيص الحذر بالبيات والفرح بالصباح، وانّما المراد انّه يبيت ويصبح جامعاً بين وظيفتي

الخوف والرجاء، وكذلك قال ابن ميثم[1].

وذهب ابن أبي الحديد إلى انّ فرح العارف بما أصاب من الفضل والرحمة يمكن أن يحمل على انّه فرح بمجرّد ما أصاب من فضل الله ورحمته، ويمكن أن يحمل على انّه فرح بما يرجوه من ثواب الله ونعيمه، ولذا استدل على وصوله إليه وقوى ظنّه بظفره به، بما عجّل الله تعالى له من الفضل والرحمة في الدنيا.

ودخل صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه، فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي، فقال صلى الله عليه وآله: «ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلّا أعطاه الله ما رجاه وأمّنه ممّا خافه»[2].

(١) انظر شرح ابن ميثم: ٣/ ٣٩٢، منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٣٠.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٤.

الشعاع السادس والعشرون
النفس الأمارة

قال عليه السلام: «إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لايَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**إن استصعبت...**» إشارة إلى مقاومته لنفسه الأمارة بالسوء عند استصعابها عليه وقهره لها على ما تكره، وعدم مطاوعته لها في ميولها الطبيعية ومحابها[1].

وقال الشارح الخوئي: «لما كان من شأن المتقي كراهته للمعاصي ومحبته للحسنات، ومن شأن نفسه الأمارة بالسوء عكس ذلك، أي كراهتها للحسنات ومحبتها للمعاصي، يقول عليه السلام انّ نفسه إن لم تطعه ولم تمكّن له في إتيان العبادات والحسنات التي تكرهها، وكان ميلها ومحبتها في السيئات، لم

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٢.

يعطها سؤلها ولا يطاوعها فيما تريد، بل يقهرها على خلاف ما تكره وتحب، ومحصّله انّه يجاهد نفسه لعلمه بأنّها عدوّ له»[1].

وقد ورد في الحديث القدسي: «انّ النفس مأوى كل شر، وهي رفيق كل سوء، تجرّها إلى طاعة الله، وتجرّك إلى معصيته، وتخالفك في طاعته، وتطيعك فيما تكره، وتطغى إذا شبعت، وتشكو إذا جاعت، وتغضب إذا افتقرت، وتتكبر إذا استغنت، وتنسى إذا كبرت، وتغفل إذا أمنت، وهي قرينة الشيطان، ومثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير وإذا حمل عليها لا تطير، ومثل الدلفي لونه حسن وطعمه مرّ»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا عدوّ أعدى على المرء من نفسه»[3].

وقال عليه السلام: «انّ نفسك لخدوع، إن تثق بها يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم»[4].

قوله عليه السلام: «**قرة عينه فيما لا يزول**» أي من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الأخلاق المستلزمة للّذات الباقية والسعادة الدائمة، وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه لاستلزامها لقرار العين وبردها برؤية المطلوب.

---

(١) منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٣٠.
(٢) البحار: ٧٤: ٢٣.
(٣) غرر الحكم للآمدي: ح٤٧.
(٤) م ن: ١١٤.

وقال ابن أبي الحديد: «وهذا الكلام يحتمل أمرين: أحدهما يعني بما لا يزول: الباري سبحانه، وهذا مقام شريف جداً أعظم من سائر المقامات، وهو حب العارف لله سبحانه... وثانيهما: أن يريد بها لا يزول: نعيم الجنّة، وهذا أدون المقامين، لانّ الخلّص من العارفين يحبونه ويعشقونه سبحانه لذاته لا خوفاً من النار ولا شوقاً إلى الجنّة.

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الكثير، نحو قوله: لم أعبده خوفاً ولا طمعاً، لكنّي وجدته أهلاً للعبادة فعبدته»[1].

وقوله: «**زهادته فيما لا يبقى**» أي زهده في الدنيا وزخارفها الفانية.

قوله: «**يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل**» قد مضى انّ المتقين حلماء علماء، وهنا يعيد عليه السلام الأمر ويصف المتقي بأنّ علمه ممزوج بالحلم، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار...»[2]. وكذلك فإنّ المتقي يمزج قوله بعمله أي لا يقول ما لا يفعل، فلا يأمر بمعروف ويقف دونه، ولا ينهى عن منكر ثم يفعله، ولا يعد فيخلف فيدخل في مقت الله تعالى كما قال: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ**﴾[3].

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٥.
(٢) الكافي للكليني: ١/ ٣٦.
(٣) الصف: ٢ـ٣.

الشعاع السابع والعشرون
قصر الأمل والخشوع

قال عليه السلام: « تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**تراه قريباً أمله**» لأنّ بعد الأمل وطوله ينشأ من حب الدنيا ونسيان الآخرة، والمؤمن المتقي لزهده في الدنيا ونفرته عنها، واشتياقه إلى الآخرة لا يطول له الأمل.

وقد ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أيضاً: «أيها الناس انّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»[1].

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «فاقصر من الأمل، واجعل الموت نصب عينك،واستح من الله حق الحياء»[2].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٤٢.

(٢) الأمالي للطوسي: ٥٣٤.

ومن لوازم طول الأمل الغفلة والغرور، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلموا انّ الأمل يُسْهِي العقل، وينسي الذكر، فاكذبوا الأمل فإنّه غرور، وصاحبه مغرور»[1]. ومنها الخداع، قال عليه السلام: «وأمله خادع له»[2]، ومنها الهلاك، قال عليه السلام: «وإنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم»[3]، ومنها سوء العمل، قال عليه السلام: «من أطال الأمل أساء العمل»[4]، ومنها تأخير التوبة، قال عليه السلام: «لا تكن ممن... يرجّي التوبة بطول الأمل»[5].

قوله عليه السلام: «**قليلاً زلله**» وذلك انّ زلل العارفين يكون من باب ترك الأولى، لأنّ صدور الخيرات عنهم صار ملكة، والجواذب فيهم إلى الزلل والخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أو سهو، ولا شك في قلّته.

قوله عليه السلام: «**خاشعاً قلبه**» وذلك لتصوّر عظمة المعبود وجلاله، سيّما عند العبادة، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾[6] وقال تعالى أيضاً في وصفهم: ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**﴾[7].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٥.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٦٣.
(٣) المصدر نفسه، الخطبة ١٤٧.
(٤) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٢.
(٥) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٤٠.
(٦) المؤمنون: ١ – ٢.
(٧) الإسراء: ١٠٩.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأعوذ بك... من قلب لا يخشع»

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «انّ أوّل شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعاً»[1].

ومن علامات الخشوع ما ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «علامة الخاشع أربعة: مراقبة الله في السرّ والعلانية، وركوب الجميل، والتفكر ليوم القيامة، والمناجاة لله»[2].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «من خشع قلبه خشعت جوارحه»[3].

ومع هذا ينهانا رسول الله صلى الله عليه وآله عن خشوع النفاق ويقول: «إياكم وتخشّع النفاق، وهو أن يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع»[4].

(١) مكارم الأخلاق: ٢/ ٣٦٨.
(٢) تحف العقول لابن شعبة: ٢٠.
(٣) غرر الحكم للآمدي: ٨١٧٢.
(٤) البحار: ٧٧/ ١٦٤.

الشعاع الثامن والعشرون
القناعة

قال عليه السلام: « قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**قانعة نفسه**» قال ابن ميثم: «قناعة نفسه، وينشأ عن ملاحظة حكمة الله في قدرته وقسمته الأرزاق، ويعين عليها تصور فوائدها الحاضرة وغايتها في الآخرة»[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن يكون أغنى الناس، فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره»[2]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من لم يقنعه من الرزق إلّا الكثير، لم يكفه من العمل إلّا الكثير، ومن كفاه من الرزق القليل فإنّه يكفيه من العمل القليل»[3].

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٣: ٣٩٣.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ١٣٩.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٣٨.

والقناعة علامة إحسان الله تعالى للعبد، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه القناعة، وأصلح له زوجه»[1]، وهي كنز، قال عليه السلام: «لا كنز أغنى من القناعة»[2]، وقال: «القناعة مال لا ينفد»[3]، وقال: «كفى بالقناعة ملكاً»[4]، وهي أطيب عيش، قال عليه السلام: «أطيب عيش القناعة»[5]، وهي أفضل شيء لإصلاح النفس، قال عليه السلام: «أعون شيء على صلاح النفس القناعة»[6].

قوله عليه السلام: «**منزوراً أكله**» أي قليلاً، فإنّ الجوع والتقليل من الطعام، يورث رقة القلب وصفاء الذهن والبصيرة، وإيقاد القريحة، والاستعداد للذّة المناجاة، والتأثّر بالذكر والموعظة، وكفى في فضله انّ فيه تأسّياً بالسلف الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأئمّة المعصومين وأصحابهم الأكرمين.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف زهد موسى وداود وعيسى عليهم السلام: «وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، واللهِ مَا سَأَلَهُ إِلا خُبْزاً يَأْكُلُهُ لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ ولَقَدْ

---

(١) غرر الحكم للآمدي: ح٨٩٨٧.
(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٦٠.
(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥٢.
(٤) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢١٩.
(٥) غرر الحكم للآمدي: ح٨٩٨٢.
(٦) م ن: ٨٩٨٤.

كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ويَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويَأْكُلُ الْجَشِبَ، وكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وظِلالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُهُ ورَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، ولَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، ولا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولا مَالٌ يَلْفِتُهُ، ولا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاهُ وخَادِمُهُ يَدَاهُ»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء»[2].

وقوله عليه السلام: «**سهلاً أمره**» أي لا يتكلّف لأحد، ولا يكلّف أحداً.

قوله عليه السلام: «**حريزاً دينه**» أي لا يهمل منه شيئاً، ولا يطرق إليه خللاً من الشكوك والشبه لرسوخه، وكونه من علم اليقين المانع من عروض الاحتمال والخلل.

قوله عليه السلام: «**ميتة شهوته**» لفظ الموت هنا مستعار لخمود شهوته عمّا حرّم عليه، ويعود هذا إلى صفة العفة، وفي وصية أميرالمؤمنين عليه السلام لمحمّد

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

(٢) تنبيه الخواطر: ١/ ٤٦.

ابن الحنفية: «من لم يعط نفسه شهوتها أصاب رشده»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «ترك الشهوات أفضل عبادة وأجمل عادة»[2].

وفيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا داود حذّر وأنذر أصحابك من كل الشهوات، فإنّ القلوب المتعلّقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنّي»[3].

(١) الكافي للكليني: ٢/ ١١٠.

(٢) عيون الحكم للواسطي: ٢٠٠.

(٣) التحصين لابن فهد: ٦.

الشعاع التاسع والعشرون
كظم الغيظ وكتمان الشر

قال عليه السلام: «**مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ**».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**مكظوماً غيظه**» أي محبوساً، وكظم الغيظ حبسه وتكلّف الحلم عند هياج الغضب، قال تعالى: ﴿**وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[1]. مدحهم بهذه الصفة يعني انّهم يحبسون غيظهم ويتجرّعونه عند القدرة.

قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله عزوجل عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿**وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ وأثابه الله مكان غيظه ذلك»[2].

وقال عليه السلام: «من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه»[3]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب السبيل إلى الله

---

(١) آل عمران: ١٣٤.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ١١٠ ح٥.
(٣) م ن.

عزّوجلّ جرعتان: جرعة غيظ تردّها بحلم، وجرعة مصيبة تردّها بصبر»[1]، وكان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «انّه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»[2].

قوله عليه السلام: «**الخير منه مأمول**» لكثرة الخيرات الصادرة عنه، وغلبتها الموجبة لأن يُرجى ويُؤمّل منه خيره، وقوله: «**الشرّ منه مأمون**» لملكة التقوى المانعة من إقدامه على الشرور الباعثة على الأمن من شرّه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال: «لا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون...»[3]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بأعمال الخير فتبادروها، ولا يكن غيركم أحق بها منكم»[4].

وعن الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال: «الناس أربعة: فمنهم من له خلاق وليس له خلق، ومنهم من له خلق وليس له خلاق، ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق فذاك شرّ الناس، ومنهم من له خلق وخلاق فذاك أفضل الناس»[5].

---

(١) الكافي للكليني: ٢/ ١١٠ ح٥.
(٢) م ن: ٢/ ١١٢.
(٣) الخصال للصدوق: ٤٣٣ ح١٧.
(٤) غرر الحكم للآمدي: ح٦٥٤٥.
(٥) كنز العمال للمتقي: ١٦/ ٢٧٠، ح٤٤٤٠١.

الشعاع الثلاثون

اليقظة

قال عليه السلام: « إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

❁❁❁

قال ابن ميثم في شرحه: «أي إن رآه الناس في عداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان، كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وإن تركه بلسانه، وإن كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر انّه لا يكتب من الغافلين»[1]. واعترض المحقق الخوئي واستظهر أمراً آخر فقال: «والأظهر عندي انّ الغرض به الإشارة إلى دوام ذكره، يعني أنّه مع كونه بين الغافلين وفي مجلسهم لا يغفل عن ذكره عزّوجلّ كغفلتهم عنه، بل يداوم عليه ويكتب في زمرة الذاكرين لعلمه بأنّ الذكر في الغافلين يوجب مزيد الأجر، ويدلّ عليه ما في الكافي... عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الذاكر لله عزّوجلّ في الغافلين كالمقاتل في المحاربين... قال النبي صلى الله عليه وآله: من ذكر الله في

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٣.

السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة، وغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر»[1].

قوله عليه السلام: «**وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين**» قال الشارح الخوئي: «لعدم غفلته عن الذكر، لأنّه مع عدم غفلته عنه مع كونه بين الغافلين كما عرفت آنفاً، فعدم غفلته عنه إذا كان في الذاكرين بطريق أولى، ويجوز أن يراد به معنى آخر، وهو الإشارة إلى كون ذكره عن وجه الخلوص والقربة وعدم كتبه من الغافلين لأجل ذلك، وأما غيره فربما يكتب من الغافلين وإن كان ذاكراً لعدم كون ذكره عن وجه الإخلاص بل يقصد الرياء، كما قال تعالى في حق المنافقين: ﴿**يخادعون الله وهو خادِعُهُمْ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[2].

انّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل: فيم النجاة غداً؟ قال: النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنّه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو شعر، فقيل: فكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره، فاتقوا الرياء فإنّه شرك بالله، انّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم، التمس أجرك ممن كنت تعمل له»[3].

❋❋❋

---

(١) منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٣٥.

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

الشعاع الواحد والثلاثون

العفو والإعطاء

قال عليه السلام: «يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ».

❁❁❁

هذه الصفات الثلاث من مكارم الأخلاق ومحامد الخصال، فالأولى مندرجة تحت الشجاعة، والثانية مندرجة تحت السخاء، والثالثة مندرجة تحت العفة، وقد وردت الأخبار في فضلها كثيراً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء إلّا عزّاً: الصفح عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»[2].

وقال الصادق عليه السلام: «لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان فإذا

---

(١) الكافي للكليني: ٢/ ١٠٧.

(٢) م ن: ٢/ ١٠٩.

التقيا اصطكت ركبتاه، وتخلّعت أوصاله، ونادى يا ويله ما لقي من الثبور»[1]. وقال عليّ عليه السلام: «كن بالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك مواصلاً، ولمن حرمك معطياً»[2].

قال الشارح الخوئي: «وإنّما خص العفو بمن ظلمه لقوّة الداعي إلى الانتقام عنه، وحاجة العفو حينئذٍ إلى مجاهدة نفسانية، وكذلك إعطاء من حرمه، وصلة من قطعه. قال بعض شراح الكافي: من صفات الكرام العفو عن الظلم والتجاوز عن المسيء، ومن صفات اللئام الانتقام وطلب التشفّي والمعاقبة لدفع الغيظ، وهو آفة نفسانية تغير الجهال والناقصين من أجل تأثّر نفوسهم عن كل ما يخالف هواها.

وأما إعطاء من حرمك فالمقصود به انّه إذا أحسنت إلى أحد، ولم يقابل إحسانك بإحسان أو قابلك بالإساءة والكفران، فلا ترغب عن إحسانه بكفرانه، فإنّه إذا لم يشكرك فقد يشكرك غيره، ولو لم يشكرك أحد فإنّ الله يحب المحسنين كما نطق به الكتاب المبين، وأما صلة من قطعك، فالمراد بها وصله بالمال واليد واللسان ومراقبة أحواله بقدر الإمكان، لاسيّما إذا كان من الأرحام»[3].

---

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٣٤٦.

(٢) عيون الحكم للواسطي: ٣٩٣.

(٣) منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٣٦.

الشعاع الثاني والثلاثون.
لين الكلام

قال عليه السلام: «بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**بعيداً فحشه**» أي ليس يعني انّه قد يفحش تارة ويترك الفحش تارات، بل لا فحش له أصلاً، فكنّى عن العدم بالبعد لأنّه قريب منه[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال: «انّ الله حرّم الجنّة على كل فحّاش بذيّ قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتشته لم تجده إلّا لغيّة أو شرك شيطان»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انّ من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»[3] وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفحش والتفحّش ليسا من

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٩.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ٣٢٤.
(٣) م ن: ٢/ ٣٢٥.

الإسلام»[1].

قوله عليه السلام: «**ليناً قوله**» أي يتكلّم بالرفق ولا يغلظ في كلامه، فإنّ الرفق في القول يوجب المحبة ويجلب الألفة، ويدعو إلى الإجابة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك أمر الله عزّوجلّ موسى وهارون عليهما السلام عند بعثهما إلى فرعون بأن يقولا له قولاً ليناً، ليكون أسرع إلى القبول وأبعد من النفور.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك»[2].

وقد ورد في وصف النبي صلى الله عليه وآله أنّه: «سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظ ولا صخّاب ولا فحّاش»[3].

(١) عيون الحكم للواسطي: ٢٧.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ١٤٩.
(٣) البحار: ١٦/ ١٥٣.

الشعاع الثالث والثلاثون

الخيرات

قال عليه السلام: «غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ».

❁❁❁

انّ غيبة منكر المتقي وحضور معروفه للزومه حدود الله، فهو يترك الأعمال القبيحة المحرمة، ويفعل الأعمال الحسنة المتضمّنة للرجحان الشرعي من الواجبات والمندوبات والخيرات والمبرات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، وخلعت لجمها فتقحّمت بهم في النار»[1] وقال عليه السلام أيضاً: «المتقي من اتقى الذنوب، والمتنزّه من تنزّه عن العيوب»[2]، وقال عليه السلام: «التقوى أن يتقي المرء كلّما يؤثمه»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦.

(٢) غرر الحكم للآمدي: ح٥٨١٦.

(٣) م ن: ح ٥٨١٧.

أما السبب في كون المتقي يغيب منكره، ويحضر معروفه، ويقبل خيره ويدبر شرّه، هو لعلمه بسرعة انقضاء الدنيا وزوالها ولزوم الاستعداد أولاً، وثانياً الإحساس بالتقصير أمام الله تعالى فإنّه مهما بالغ في جهده لم يصل إلى أداء حق من حقوقه تعالى و تقدّس، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس أحد وإن أشتد على رضى الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له»[1].

وثالثاً: الخوف من حلول الموت فجأة وهو في غفلة، قال عليه السلام: «بادروا بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً ناكساً»[2]، وقال عليه السلام: «فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبر يدعى، والمسيء يرجى، قبل أن يخمد العمل، وينقطع المهل، وتنقضي المدة، وتسدّ أبواب التوبة، وتصعد الملائكة»[3].

ورابعاً بأنّ الإهمال يوجب الندم يوم لا ينفع الندم، قال عليه السلام: «انّ الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلّا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢٩.
(٣) المصدر نفسه ، الخطبة، ٢٣٨.
(٤) المصدر نفسه ، الكتاب: ٥٩.

الشعاع الرابع والثلاثون
الاستقامة والصمود

قال عليه السلام: «فِي الـزَّلاَزِلِ وَقُـورٌ، وَفِي الْـمَكَارِهِ صَـبُورٌ، وَفِي الرَّخَـاءِ شَكُورٌ».

❁❁❁

قوله: «**في الزلازل وقور**» أي انّـه في النـوازل والـشدائد والحـوادث العظيمة الموجبة لاضطراب الناس، متصف بشدة الوقار والرزانة والسكينة والثبات، كالجبل لا تحرّكه العواصف.

قال ابـن أبي الحديـد في شرحـه: «أي لا تحرّكـه الخطـوب الطارقـة، ويقال: انّ علي بن الحسين عليه السلام كان يصلّي، فوقعت عليه حيّة فلـم يتحـرّك لها، ثم انسابت بين قدميه، فما حرّك إحداهما عن مكانه ولا تغيّر لونه»[1].

قوله عليه السلام: «**و في المكاره صبور، وفي الرخاء شكور**» لأنّ الـصبر في المكاره يدلّ على علو همّته عن أحوال الدنيا ومعرفته بها، وشكره في الرخاء

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٩.

لمحبته المنعم الأوّل جلّت قدرته.

قال الشارح الخوئي: «لأنّ الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، كما في الحديث المرفوع في إحياء العلوم عن النبي صلى الله عليه وآله، والمتقي بما له من وصف التقوى والإيمان قد أكمل بأخذهما كلا شطري الإيمان، وإنّما كانا نصف الإيمان لأنّ الإيمان الكامل هو ما تضمّن العلم والعمل، وكل ما يلاقيه العبد من الأعمال ينقسم إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وإلى ما يضرّه فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضرّه ويكرهه طبعه حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر»[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا فاجأت الأمر فتحصّن بالصبر والاستظهار**»[2]. وقال عليه السلام: «**الصبر أحسن حلل الإيمان، وأشرف خلائق الإنسان**»[3].

وقد مضى الكلام عن الصبر والشكر فراجع.

---

(١) منهاج البراعة للخوئي: ١٢/ ١٣٨.

(٢) عيون الحكم للواسطي: ١٣١.

(٣) م ن: ٥٦.

الشعاع الخامس والثلاثون
الاقتصاد في التعامل

قال عليه السلام: «لا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ».

❁❁❁

قال ابن ميثم: «كونه لا يحيف على من يبغض، وهو سلب للحيف والظلم مع قيام الداعي إليهما وهو البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه، وكونه لا يأثم فيمن يحب، وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب، إما بإعطائه ما لا يستحق، أو دفع ما يستحق عليه عنه، كما يفعله قضاة السوء وأمراء الجور، فالمتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه وهو المحبّة لمن يحبه، بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء»[1].

ومحصّل هاتين الفقرتين أنّه لا يخرجه الحب والبغض عن تكليفه

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٤.

الشرعي إلى ما يخالفه. أما اعترافه بالحق قبل أن يـشهدوا عليـه، لتحـرّزه في دينه من الكذب، إذ الشهادة إنّما يحتاج إليها مع إنكار الحـق، وذلـك كـذب والمتقي منزّه عنه.

الشعاع السادس والثلاثون

الأمانة

قال عليه السلام: «لا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**لا يُضيع ما استُحفظ**» أي لا يضيع ما أمر الله بمحافظته من الصلوات الخمس و نحوها من الطاعات وحفظ الأمانات، والمراد بالتضييع هنا الأعم من الترك والتهاون والإخلال بالحدود المطلوبة.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها**﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا إيمان لمن لا أمانة له»[2]، وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «من خان أمانة في الدنيا ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان»[3]، ومن وصايا لقمان لابنه: «يا

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) البحار: ٧٢/ ١٩٨.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٥.

بني أدّ الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك، وكن أميناً تكن غنياً»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: يا كميل أفهم واعلم أنّا لا نرخّص في ترك أداء الأمانة لأحد من الخلق، فمن روى عنّي في ذلك رخصة فقد أبطل وأثم وجزاؤه النار بما كذب، أقسم لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثاً: يا أبا الحسن أدّ الأمانة إلى البر والفاجر، فيما جلّ وقلّ حتى الخيط والمخيط»[2].

قوله عليه السلام: «**ولا ينسى ما ذُكّر**» أي لا ينسى المتقي ما ذكّره الله سبحانه بآيات كتابه الكريم من الفرائض والأحكام والعبر والأمثال وغيرها مما فيه تذكرة وذكرى لأولي الألباب، بل يعمل بها ويداوم على ملاحظتها، ويكثر من إخطارها بباله ولا يغيبها عن نظره.

قوله عليه السلام: «**ولا ينابز بالألقاب**» وذلك لكون النبز منهياً عنه في الكتاب الحكيم، قال سبحانه: ﴿**وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمانِ**﴾ [3] أي لا يدعو بعضكم بعضاً باللقب السوء والنكتة في النهي عنه كونه موجباً للتباغض والعداوة، وإثارة الفتن.

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٢٥٣.

(٢) تحف العقول لابن شعبة: ١٧٥.

(٣) الحجرات: ١١.

الشعاع السابع والثلاثون
الحق والباطل

قال عليه السلام: « وَلا يُضَارُّ بِالْـجَارِ، وَلا يَشْمَتُ بِالْـمَصَائِبِ، وَلا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، ولاَ يَخْرُجُ مِنَ الْـحَقِّ».

❁❁❁

انّ المتقي لرسوخ ملكة التقوى في نفسه لا يدخل في باطل ولا يخرج من حق، ومن مصاديق ذلك والذي لا يقربه المتقي: إيـذاء الجـار لملاحظـة وصية الله تعـالى: ﴿**وَالْجَـارِ ذِي الْقُرْبـى وَالْجَـارِ الْجُنُـبِ**﴾ ووصـية رسـول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «أوصاني ربي بالجار حتى ظننت أنّه يورثه»[1].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: «المؤمن من أمن جاره بوائقه، [قال الراوي] قلت: ما بوائقه؟ قال: ظلمه وغشمه»[2].

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حـديث المنـاهي: «مـن آذى

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٦٠.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ٦٦٦.

جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة ومأواه جهنّم وبئس المصير، ومن ضيّع حق جاره فليس منّا، وما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه...»[1].

ومن صفات المتقي أيضاً أنّه لا يشمت بالمصائب لأنّ المصائب النازلة إنّما هي بقضاء من الله عزّوجلّ وقدر، والشامت بسبب نزولها بغيره في معرض أن تصيبه مثلها، فكيف يشمت ويفرح بمصيبة نزلت به؟!

قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا تبدي الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيرها بك» وقال عليه السلام: «من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن»[2].

مضافاً إلى انّ في الشماتة بالمؤمن كسراً لقلبه وإدخالاً للحزن عليه، وهو خلاف غرض الشارع.

---

(١) أمالي الصدوق: ٥١٤.

(٢) الكافي للكليني: ٢/ ٣٥٩.

الشعاع الثامن والثلاثون

الصمت والصبر

قال عليه السلام: «إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ».

❁❁❁

قوله عليه السلام: «**إن صمت لم يغمّه صمته**» أي لا يحزن لفوات الكلام، لأنّه يرى الصمت مغنماً لا مغرماً، وبعبارة أخرى الاغتنام بالصمت إنّما يكون ممّن تعوّد لسانه بالهذيان وفضول الكلام، واعتاد الخوض فيما لا يعني، وأهل التقوى لعلمهم بما في الصمت من الثمرات الدنيوية والأخروية، وبما في الكلام من المفاسد والآفات الكثيرة، اعتادوا أن لايزيدوا في كلامهم على قدر الحاجة، والتزموا الصمت إلّا في مقام الضرورة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله»[1].

---

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٣٩٥.

وفي حديث المعراج: «يا أحمد عليك بالصمت فإنّ أعمر القلوب قلوب الصالحين والصامتين، وانّ أخرب القلوب قلوب المتكلمين بما لايعنيهم... يا أحمد ليس شيء من العبادة أحب إليّ من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته، فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العابدين»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وليختزن الرجل لسانه، فإنّ هذا اللسان جموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه»[2].

قوله عليه السلام: «**وإن ضحك لم يعل صوته**» قال ابن ميثم: «كونه لا يعلو ضحكه، وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه، ومما نقل من صفات الرسول صلى الله عليه وآله: كان أكثر ضحكه التبسّم، وقد يفتر أحياناً، ولم يكن من أهل القهقهة والكركرة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كم ممّن أكثر ضحكه لاغياً يكثر يوم القيامة بكاؤه، وكم ممّن كثر بكاؤه على ذنبه خائفاً يكثر يوم القيامة في الجنّة ضحكه وسروره»[3].

قوله عليه السلام: «**وإن بغي عليه...**» يعني إن ظلمه أحد وتعدّى عليه، صبر على ذلك وفوّض أمره إلى الله عزّوجلّ حتى ينتقم له من الباغي، لأنّه

---

(١) البحار: ٧٤/ ٢٧، ٣٠.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.
(٣) البحار: ٧٣/ ٥٩.

تعالى قد وعد له النصرة في كتابه العزيز. وإنّما المتقي يصبر على بغي الباغي ولا يجازيه عملاً بقوله سبحانه: ﴿ **وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾[1].

***

(١) النمل: ١٢٦.

الشعاع التاسع والثلاثون

جهاد النفس

قال عليه السلام: «نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نفسه لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ».

❁❁❁

يشير عليه السلام هنا إلى انّ نفس المتقي في تعب منه ومشقة لمجاهدته لها، ومخالفته لهواها، وحمله إيّاها على ما تكره، وردعه لها عمّا تحب، كل ذلك لعلمه بأنّها أمّارة بالسوء وانّها له عدو مبين، ولذلك كان الناس منه في راحة، لأنّ إيذاء الناس من هوى الأنفس، فإذا كان قاهراً لها على خلاف هواها، يكون الناس مأمونين من شرّها، مستريحين من أذاها. وقد قال الصادق عليه السلام: «من ملك نفسه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضي، حرّم الله جسده على النار»[1].

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي أفضل الجهاد من

---

(١) الأمالي للصدوق: ٤٠٨/ ح ٥٢٧.

أصبح لا يهمّ بظلم أحد»[1].

وفي مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام: «طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه، ومن هزم جند هواه ظفر برضا الله، ومن جاور عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الرب من النفس والهوى، وليس لقتلها في قطعها سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنّهار والسهر بالليل، فإن مات صاحبه مات شهيداً، وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى الرضوان الأكبر، قال الله عزّوجلّ: ﴿**وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

(١) مستطرفات السرائر لابن إدريس: ٦١٥.

(٢) البحار: ٦٧/ ٦٩.

الشعاع الأربعون
الإخاء والعداء في الله تعالى

قال عليه السلام: «بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ».

❁❁❁

قال ابن ميثم في شرحه: «كون بعده عمّن تباعد عنه لزهده فيما في أيدي الناس ونزاهة عنه لا عن كبر وتعظيم عليهم، وكذلك دنوّه ممّن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر بهم وخديعة لهم عن بعض المطالب، كما هو عادة الخبيث المكار»[1].

قال أبو عبدالله عليه السلام: «اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا أخوة بررة كما أمركم الله عزّوجلّ»[3].

---

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٦.
(٢) الكافي للكليني: ٢/ ١٧٥.
(٣) م ن.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: «أيّ عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وتوالي أولياء الله، والتبري من أعداء الله»[1].

وفي مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «المحب في الله محب الله، والمحبوب في الله حبيب الله لأنّهما لا يتحابان إلّا في الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء مع من أحب، فمن أحب عبداً في الله فإنّما أحب الله، ولا يحب الله تعالى إلّا من أحبه الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الناس بعد النبيين في الدنيا والآخرة المحبون لله المتحابون فيه، وكل حب معلول يورث بعداً فيه وعداوة إلّا هذين، وهما من عين واحدة يزيدان أبداً ولا ينقصان، قال الله عزّوجلّ: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: انّ أطيب شيء في الجنّة وألذّه حب الله، والحب في الله»[2].

---

(١) الكافي للكليني: ٢/ ١٢٤.

(٢) راجع البحار: ٦٦/ ٢٥١.

الخاتمة

تأثير الموعظة

«قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين: أما والله لقد كنت أخافها عليه، ثم قال عليه السلام: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: ويحك انّ لكل أجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه، فمهلاً لا تعد لمثلها، فإنّما نفث الشيطان على لسانك».

لمّا سمع همام هذه الصفات أغمي عليه وصعق ومات، وهذا ما كان يخاف منه أمير المؤمنين عليه السلام على همام، ولذا أوجز الوصف في البداية، ولكن القلوب إذا كانت صافية ومستعدة، سوف تصنع المواعظ فيها هكذا، مضافاً إلى سبب آخر أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو حلول الأجل، حيث كان أجله قد حلّ وقته.

وهناك فرق آخر بين همام وأمير المؤمنين عليه السلام وهو ما أشار إليه ابن ميثم وقال: «وأما السبب القريب للفرق بينه وبين همام ونحوه، فقوّة نفسه القدسيّة على قبول الواردات الإلهية، وتعوّده بها وبلوغ رياضته حدّ السكينة

عند ورود أكثرها، وضعف نفس همام عمّا ورد عليه من خوف الله ورجائه، ولم يجب عليه السلام بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه، أو لقصور فهم السائل»[1].

إلى هنا ننهي الحديث عن شرح خطبة المتقين، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء بصفاتهم، انّه سميع الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين..

(١) شرح النهج لابن ميثم: ٣/ ٣٩٧.

فهرس الكتاب

تمهيد ٥
نص خطبة المتقين ٩
الشعاع الأول: الصفات الظاهرية ١٧
الشعاع الثاني: شوق اللقاء ٢٤
الشعاع الثالث: القلب حرم الله تعالى ٢٨
الشعاع الرابع: رفع الحجب ٣٠
الشعاع الخامس: اللطف الإلهي ٣٢
الشعاع السادس: الفطرة السليمة ٣٥
الشعاع السابع: الصبر ٣٧
الشعاع الثامن: الدنيا ٤٠
الشعاع التاسع: المتقي في الليل ٤٣
الشعاع العاشر: تلاوة القرآن ٤٥
الشعاع الحادي عشر: الصلاة ٤٨
الشعاع الثاني عشر: المتقي في النهار ٤٩
الشعاع الثالث عشر: الخوف ٥٢

الشعاع الرابع عشر: التقصير ٥٥
الشعاع الخامس عشر: اتهام النفس ٥٨
الشعاع السادس عشر: الفرار من العجب ٦٠
الشعاع السابع عشر: القوة واللين ٦٢
الشعاع الثامن عشر: اليقين ٦٤
الشعاع التاسع عشر: العلم ٦٦
الشعاع العشرون: الحلم ٦٩
الشعاع الحادي والعشرون: الاقتصاد والخشوع ٧٠
الشعاع الثاني والعشرون: طلب الحلال وترك الطمع ٧٣
الشعاع الثالث والعشرون: الحذر ٧٣
الشعاع الرابع والعشرون: الشكر والذكر ٧٧
الشعاع الخامس والعشرون: الحذر والفرح ٨١
الشعاع السادس والعشرون: النفس الأمارة ٨٣
الشعاع السابع والعشرون: قصر الأمل والخشوع ٨٦
الشعاع الثامن والعشرون: القناعة ٨٩
الشعاع التاسع والعشرون: كظم الغيظ وكتمان الشر ٩٣
الشعاع الثلاثون: اليقظة ٩٥
الشعاع الحادي والثلاثون: العفو والإعطاء ٩٨
الشعاع الثاني والثلاثون: لين الكلام ١٠٠
الشعاع الثالث والثلاثون: الخيرات ١٠٢

الشعاع الرابع والثلاثون: الاستقامة والصمود ١٠٤
الشعاع الخامس والثلاثون: الاقتصاد في التعامل ١٠٦
الشعاع السادس والثلاثون: الأمانة ١٠٨
الشعاع السابع والثلاثون: الحق والباطل ١١٠
الشعاع الثامن والثلاثون: الصمت والصبر ١١٢
الشعاع التاسع والثلاثون: جهاد النفس ١١٥
الشعاع الأربعون: الإخاء والعداء في الله تعالى ١١٧
الخاتمة ١١٩
فهرس الكتاب ١٢١

***